الدراسات البينية في القرآن و الحديث، السنة ١، المجلد ١، العدد ٤، الربيع ١٤٤٦، صص.٣٧٧-٣٩٦

إعادة قراءة «الاستنطاق» في نظرية الشهيد الصدر وعلاقتها بالجدلية

علي فتحي*، سيد ميثم موسوي**

* أستاذ مشارك، قسم البحوث القرآنية، المعهد العالي للحوزة والجامعة، قم، إيران.
أوركيد: 0000-0003-3843-2493 afathi @ rihu.ac.ir

** طالب الدكتوراه في علوم القرآن والحديث، مركز بحوث الحوزة والجامعة، قم، إيران. meymosa @ gmail.com

الملخص

حاول الشهيد الصدر، بتعريفه الخاص للتفسير الموضوعي، أن يقدم أسلوباً لتلقي تعاليم القرآن بما يتوافق مع مشاكل مجتمعات اليوم. جوهر هذا الأسلوب في التفسير هو عنصر يسمى «الاستنطاق» الذي اقترحه الشهيد الصدر مستلهماً الأحاديث التي دعت إلى الاستدلال بالقرآن. أهمية الاستنطاق في أسلوب تفسير الموضوع من وجهة نظر الشهيد الصدر قد نظّمت أبحاثاً عديدة لشرح هذا المكون. وفي هذه الأبحاث عادة ما يتم تفسير الاستنطاق من خلال إلهام الحوار المتبادل بين النص والمعلِّق في التأويل الفلسفي. عند النظر إلى الأسس الفلسفية للشهيد الصدر، فإن هذا النوع من التفسير لا يمكن أن يكون صحيحاً. في البحث الحالي، وبالرجوع إلى مؤلفات مختلفة للشهيد الصدر وباستخدام المنهج الوصفي-التحليلي، جرت محاولة لمعرفة طبيعة الاستنطاق عند الشهيد الصدر. وبهذه الطريقة تم أولاً استخلاص الجوانب السلبية للاستنطاق وعلاقتها بتعاليم التفسير الفلسفية، ومن ثم تم استخلاص المكونات الإيجابية للاستنطاق. تشير نتائج هذا البحث في سلبيات الاستنطاق إلى اختلاف هذا المفهوم مع المكونات الأساسية في التأويل الفلسفي. في الجزء الإيجابي، هناك ثلاثة مكونات لتقديم سؤال محدد؛ جمع وتلقي الإجابات وتجميع ودمج الإجابات الفردية مستمدة من مفهوم الاستنطاق.

المفردات الرئيسية

العلوم الإنسانية الإسلامية؛ التفسير الموضوعي؛ الاستنطاق؛ التأويل، هيغل

نوع المقالة: علمية محكمة

تاريخ الوصول: ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٣ تاريخ المراجعة: ٠٥ أكتوبر ٢٠٢٤ تاريخ القبول: ٠٢ مارس ٢٠٢٤

الناشر: جامعة الإمام الصادق عليه‌السلام

10.30497/ISQH.2025.245661.1028

© المؤلف (المؤلفون)

الإحالة: فتحي، علي، موسوي، سيدميثم (٢٠٢٤)، إعادة قراءة «الاستنطاق» في نظرية الشهيد الصدر وعلاقتها بالجدلية، الدراسات البينية في القرآن والحديث، ١(٤)، ٣٧٧-٣٩٦. https://doi.org/10.30497/ISQH.2025.245661.1028

١.المقدمة

١-١.بيان المساله

في القرنين الأخيرين، ومع التغيرات الواسعة التي حدثت في العلوم والتكنولوجيا، ظهرت مشاكل جديدة للمجتمع الإنساني، وتَشَكَّلَ إنتاجُ العلوم الإنسانية الإسلامية في المجتمعات الإسلامية لتقديم الحلول والأجوبة لهذه المشاكل. لقد كان القرآن الكريم، باعتباره المصدر الرئيسي للمعرفة الإسلامية، موضوع دراسة وبحث من قبل المفكرين المهتمين بالإسلام. وقد تم التعبير عن نطاق هذه الدراسات وتنوعها بطرق تفسيرية مختلفة. ولا شك أن ظروف وخصائص قضايا العصر المعاصر المعقدة تستدعي اختلاف الجهود التفسيرية للرد عليها. فالتفسير الموضوعي بقراءة الشهيد الصدر هو أحد هذه الجهود التي لا تزال محل اهتمام الباحثين في مجال التفسير. ونظراً للإيجاز والغموض في طبيعة هذا الأسلوب ومكونه الأساسي «الاستدلال»، يحاول الباحثون تفسيره من خلال مقارنته مع طرق التفسير المماثلة. لكن هناك بعض الأمور التي لا تتفق مع الأسس الفكرية للشهيد الصدر. وهذه الحالات التي سيتم ذكرها في لمحة عامة عن خلفية هذا البحث، تتأثر بالتفسير الفلسفي المبني على الجدلية. في المقابل، وردت كلمة «الاستنطاق» في كثير من الأحاديث، ويذكر الشهيد الصدر أنه استعار هذه الكلمة من الأحاديث. ويظهر هذا المقال تأثره بثقافة تفسير الإسلام في تفسيره الموضوعي. إن دراسة مفهوم«الاستنطاق» في الثقافة الإسلامية وكذلك التحقق من الأسس المعرفية الفعالة في الاتجاهات التفسيرية للشهيد الصدر يمكن أن تساعد في تفسير طبيعة «الاستنطاق» بشكل أفضل. وفي ضوء هذا البحث يتضح طريقة «الاستنطاق» في رأي الشهيد الصدر.

١-٢.المفاهيم

الاستنطاق مصدر باب الاستفعال من جذر «النُطق» بمعني الكلام. فـ«الاستنطاق» يعني «طلب النطق ». و«المنطق» أيضا هو التكلّم و «أَنطَقَه» بمعني «كَلَّمه وناطَقَه». (ابن‌منظور، ٢٠١٤: ١٠/ ٣٥٤، طريحى، ١٩٩٦: ٥/٢٣٨) وبحسب بعض المعجميين، فإنّ حملَ «النطق» على «الكتاب» الذي لا يتمتع بقدرة الكلام، يدل على تبيين الكتاب وتوضيحه (فيومى، ١٩٩٣ : ٢/٦١١). ولهذا قالوا: «كتاب ناطق» يعادل «كتاب بيّن»، وقالوا: ما تبين فهو كأنه تكلّم، وإن لم يقله باللفظ: «كَأَنَّه ينطقُ» (ابن‌منظور، ٢٠١٤: ١٠/ ٣٥٤). إنّ ابن فارس لا يعتبر النطق مقتصرا على الكلام، ويعتبر شبيه الكلام نطقاً أيضاً، ويرى أن الكلام ليس بالضرورة أن يفهمه الإنسان. (ابن‌فارس، ١٩٨٣: ٥/ ٣٥٣)

كما اعتبر بعض المعجميين أن الكلام يعني الكشف عن الباطن بأداة خارجية، وهذه الأداة إما كلام أو صوت أو حالة، سواء كانت في الإنسان أو الحيوان، وسواء كانت في عالم المادة أو غير ذلك. (مصطفوى، ١٩٩٥ :١٢/ ١٦٢)

ولذلك فإن النطق لا يقتصر على كلام الإنسان وصوته، بل يشمل إظهار أي معنى. وعلى هذا فإن الاستنطاق الذي هو مصدر باب الاستفعال يعني الجهد والإصرار في طرح الأسئلة والحصول على الإجابات. مع افتراض أن الشخص الذي يُسأل عنه يكون ساكتاً ولا يتكلم بسهولة، فينبغي أن يُستخرج منه الجواب بالاستنطاق. (ابن‌فارس، ١٩٨٣: ٥/٣٥٣)

٣-١.الاستنطاق في القرآن و الروايات

إنّ مصدر «الاستنطاق» و غيره من صِيَغِ هذه المادة غير موجودة في القرآن، ولكن أفعال هذا الجذر، وكذلك صيغة الثلاثي المجرد من هذه المادة، استخدمت في إحدى عشرة آية. وفي بعض هذه الآيات أُستُخدِمَ النطق للكائنات الحية كالإنسان (نجم/٣؛ نمل/٨٥) وفي بعض الأحيان يستخدم للحديث عن الأشياء التي لا تتكلم عادة، كما هو الحال عندما يتحدث القرآن الكريم عن يوم القيامة فيحدد أن العيون والأذنين وأعضاء الجسد التي لا تتكلم وليس لديهم القدرة على الكلام، سوف يتكلمون وعندما يحتج أصحابها، يقولون أن الله أنطقنا(فصلت/٢١) ومن هذه الآيات يمكن أن يفهم أن موضوع "النطق" يمكن أن يستخدم لشيء صامت، خاصة عندما تأتي المادة في صيغة الثلاثي المزيد.

لقد استخدام مفردة «النطق» بشكل متكرر في الروايات أيضا. لكن مصطلح "الاستنطاق" لم يرد إلا في بعض الأحاديث. ومجموعة من هذه الأحاديث تتعلق بـ«استنطاق البشر»، مثل رواية أمير المؤمنين (عليه‌السلام) الذي قال في تشبيه فضيلته بالنبي (صلى الله عليه وآله):«. . . لَقَدْ أَقَرَّ لِي جَمِيعُ اَلْمَلاَئِكَةِ وَاَلرُّوحُ بِمِثْلِ مَا أَقَرُّوا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَقَدْ حُمِلْتُ مِثْلَ حَمُولَةِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ حَمُولَةُ اَلرَّبِّ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُدْعَى فَيُكْسَى فَيُسْتَنْطَقُ فَيَنْطِقُ وَأُدْعَى فَأُكْسَى وَأُسْتَنْطَقُ فَأَنْطِقُ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ خِصَالاً لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلِي عُلِّمْتُ اَلْبَلاَيَا وَاَلْقَضَايَا وَفَصْلَ اَلْخِطَابِ» (مجلسی، ١٩٨٢: ٢٥/ ٣٥٢) فـ«الاستنطاق» في هذه الروايات يعني أن تطلب من الشخص أن يتكلم.

كما أن هناك روايات عن استنطاق كائنات واعية غير البشر. مثل استنطاق العقل في حديث الامام الباقر (عليه‌السلام)«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ. . . ». (مجلسی، ١٩٨٢: ١/ ٩٦)

وبعض الأحاديث الأخرى تدور حول استنطاق الجمادات. مثل مناظرة الإمام الباقر (عليه السلام) وزيد بن الحسن، والتي استخدم فيها الإمام (عليه السلام) السكين والحجر، وتكلما بالإذن الإلهي ليثبت صلاحه وخيانة زيد: «فَقَالَ اَلْإِمَامُ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ إِنَّ مَعَكَ سِكِّيناً مَخْفِيَّةً تَشْهَدُ لِي بِالْحَقِّ فَاسْتَنْطِقْهَا بِإِذْنِ اَللَّهِ فَوَثَبَتْ إِلَى اَلْأَرْضِ وَقَالَتْ يَا زَيْدُ أَنْتَ ظَالِمٌ وَمُحَمَّدٌ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْكَ وَلَئِنْ لَمْ تَكُفَّ لَأَلِيَنَّ قَتْلَكَ فَغُشِيَ عَلَى زَيْدٍ فَأَقَامَهُ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ وَ اِسْتَنْطَقَ صَخْرَةً كَانَا عَلَيْهَا وَرَجَفَتْ مِنْ نَاحِيَةِ زَيْدٍ وَنَطَقَتْ بِمِثْلِ ذَلِكَ. . . ». (نباطی عاملی، ٢٠٠٥: ١٨٤)

وفي هذه الروايات يعني الاستنطاقُ طلبَ الكلام، مع توضيح أن الاستنطاق يتجاوز الإنسانَ فيشمل الكائنات غير البشرية الواعية والجماد أيضًا.

وفي بعض الروايات المتعلقة بطريقة تفسير القرآن أُستُخدِمَ لفظُ الاستنطاق، مثل رواية الامام علي (عليه‌السلام) الذي يقول: «. . . ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَ لَنْ يَنْطِقَ لَكُمْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا مَضَى وَ عِلْمَ مَا يَأْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ حُكْمَ مَا بَيْنَكُمْ وَ بَيَانَ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَلَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ خْبَرْتُكُمْ عَنْهُ لِأَنِّي أَعْلَمُكُمْ . (مجلسی، ١٩٨٢: ٨١/٨٩) حسب هذه الرواية أن تلاوة القرآن، أي فهم تعاليمه، مشروطة بالاستنطاق والسؤال من القرآن. والاستنطاق في هذه الرواية هو نفس اللفظ الذي ذكره الشهيد الصدر في شرح طريقة التفسير الموضوعي.

لقد اعتبر مفسرو نهج البلاغة أن عبارة «فاستنطقوه» هي دعوة لمحاولة فهم موضوعات وحقائق القرآن الكريم، واستناداً إلى عبارة «ولن ينطق ولكن أخبركم عنه»، فقد جعلوا هذا الفهم معتمداً على الاستعانة بتفسيرات أهل البيت (عليهم السلام). (بحرانی، ١٩٩٩: ٢٧٣؛ خوئی، ١٩٦٥: ٣٣٦) وهذا التفسير لشارحي نهج البلاغة مبني على ظهور كلام آخر للإمام علي (عليه السلام). ومنها رواية: « فالقرآن آمر زاجر وصامت ناطق، أى صامت بنفسه وناطق بترجمانه» (مجلسی ، ١٩٨٢: ٢٠/٨٩)

لكن بعض المفسرين المعاصرين لنهج البلاغة قالوا في شرح العبارة «وَلَنْ يَنْطِقَ لَكُمْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ»: إنّ جمله «وَلَنْ يَنْطِقَ» ولا يعني أن القرآن لا يكلّم أحداً (إلا الأئمة المعصومين (عليهم السلام)؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين وبمنطق واضح وجلي، والجميع مكلف بتدبر القرآن. . . . لذلك، إنّ المقصود من جملة «لَنْ يَنْطِقَ»، إن في القرآن أسرارا خفية أكثر من ظاهره. وهذه الأسرار في يد النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) وخلفائه المعصومين. (مكارم شيرازی، ٢٠١١: ١٩٣/٦)

لكن هناك نقطة أخرى أهملت في شرح عبارة «ذلك القرآن فاستنطقوه» وهي أن هذه العبارة لا تشير إلى الفهم التقليدي والعادي للقرآن، لأن هناك عبارات كثيرة من القرآن التي كان بالإمكان استخدامها للدعوة إلى وضع هذا النوع من الفهم. عبارات تدعو إلى التفكر والتعقل في القرآن،

ونتيجة هذا التفكر والتعقل هو الفهم التقليدي للقرآن. لكن الدعوة إلى الاستنطاق من القرآن لها معنى خاص اهتم به الشهيد الصدر واعتبره أسلوباً خاصاً في دراسة القرآن. ويؤكد هذا الانطباع القسم الأخير من هذه الرواية: «إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا مَضَى وَعِلْمَ مَا يَأْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ حُكْمَ مَا بَيْنَكُمْ وَ بيَانَ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» وفي هذه العبارة ذكر المعارف المتعلقة بالماضي وقضايا وأحكام المستقبل، التي لا يمكن الحصول عليها من القرآن بالتفكير التقليدي، ولذلك ينبغي الحصول عليها بالاستنطاق. وهذه النقطة يمكن أن تعزز فهم الشهيد الصدر لهذه الرواية وطريقته في التفسير الاستنطاقي.

لذلك، ومن خلال الاستخدامات الدينية لكلمة«الاستنطاق»، يتضح أن استخدامها لا يقتصر على البشر، بل يشمل أيضًا الجمادات. ثانياً: فقد تم في القرآن الكريم استخدامه كوسيلة لفهم القرآن وتفسيره، وهو ما يمكن اعتباره طريقة خاصة لتفسير القرآن.

۱-۴. خلفية البحث

لقد أجريت أبحاث حول الاستنطاق بالقرآن وبالتحديد حول الاستدلال في التفسير الموضوعي للشهيد الصدر، وقد بينت كل منها بعض جوانب الاستنطاق. وفيما يلي نتائج أهم الأبحاث في هذا المجال:

بناء على رواية إمام علي (عليه السلام) في الاستنطاق من القرآن الكريم، فقد بحث بعض الباحثين معنى الاستنطاق من القرآن، وبيان أصوله. وفي هذا البحث تم بيان تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الموضوعي والتأويل والاستدلال بالقرآن كمعاني محتملة للاستنطاق، وقد اعتبر المؤلفون أن كل رأي من هذه الآراء هو يشير إلى جانب من جوانب الاستنطاق ويكمل بعضها البعض. وفيما يلي، ونظراً لقدرة القرآن على حل المشكلات الاجتماعية، فإنه من الضروري البحث عن إجابات من القرآن لحل هذه المشكلات في شكل تفسير موضعي. فقد ثبت أيضاً صحة الاستنطاق لغير المعصومين عقلاً ورواية، مع أن الوصول إلى مستوى الاستنطاق الكامل خاص بأهل البيت (عليهم السلام). وفي ما يلي، ذكر المؤلفون أيضاً التفسير الموضوعي للشهيد الصدر واعتبروه منهجاً شمولياً لدراسة نظرة القرآن إلى القضايا الاجتماعية. (صفره و آخرون، ۲۰۱۰: ۱۳۹-۱۶۴)

في كتاب «التنظير المبني على القرآن: مقاربات في تطوير منهج التنظير القرآني للسيد محمد باقر الصدر»، تناول المؤلف أولاً أساسيات التفسير الموضوعي وشَرَحَ الأسس المعرفية والأنثروبولوجية والقرآنية للتفسير الموضوعي. وبعد بيان ضرورة وأهمية هذا النوع من التفسير، قام المؤلف

بمقارنة أسلوب التفسيرات المواضيعية المختلفة. ثم تم شرح عملية التفسير الموضوعي للشهيد الصدر من وجهة نظر المؤلف في عشر مراحل. وفي المرحلة السادسة تم ذكر الاستنطاق ومكوناته. وقد وصف المؤلف أولاً مكونات عملية الاستنطاق في خمس مراحل: الشرح العلمي لطريقة الاستدلال؛ استخراج البيانات القرآنية حول هذه القضية؛ الاستفهام من القرآن؛ الوصول إلى المعاني التفصيلية؛ الاجتهاد والابتكار. ثم أشار إلى عيوب عملية الاستنطاق في نظرية الشهيد الصدر، وقدم اقتراحات لحل مشاكلها. (بهمنى، ٢٠١٨: ٤٧)

وفي مقالة "قراءة نقدية للاستنطاق وتطبيقه في نظرية الشهيد الصدر حول تقاليد التاريخ في القرآن"، وصف المؤلف نفسه عملية الاستنطاق بأربع مراحل. ورغم أنه سمى هذه الخطوات بالمكونات، إلا أن ما يتم الحصول عليه من شروحاته، فإن هذه العناصر ليست مكونات مفهوم الاستنطاق وهي أكثر ملاءمة لمراحل الاستنطاق. هذه الخطوات هي:

اعتماد المبادئ والقواعد العامة للتفسير؛ استخراج البيانات القرآنية المتعلقة بالمشكلة؛ السؤال وتلقي الإجابات من القرآن، وهو في الواقع النواة المركزية لعملية الاستنطاق؛ الحصول على المعاني التفصيلية.

وبطبيعة الحال، فإن المرحلتين الأولى والثانية هما في الواقع بداية الاستنطاق، وليست جزءا من العملية. أما المرحلة الثالثة، والتي تعتبر بحسب المؤلف النواة المركزية للاستنطاق، فلم يتم فيها تقديم أي توضيح حول كيفية حدوثه وطرق طرح الأسئلة والاستماع إلى الإجابات. (بهمنى، ٢٠٢٠: ٢٩-٤٨)

وقد حاول بعض المؤلفين شرح طريقة الشهيد الصدر في تفسير موضوع ما من خلال إجراء دراسة مقارنة مع التأويل الفلسفي. وفي هذا البحث اعتبر المؤلفون أن عملية الاستنطاق شبيهة بعملية الفهم في التأويل الفلسفي، وفي المواضيع التالية شرحوا التفسير الموضوعي للشهيد الصدر والاستنطاق:

الحوار نموذج للتفاهم؛ دور المفسِّر في التفسير الموضوعي؛ التفاعل بين القرآن والمفسر في التفسير الموضوعي، وهذه العناوين الثلاثة هي على التوالي تعبير آخر عن عملية الفهم كلعبة، تأثير تصورات القارئ المسبقة على فهم ووحدة أفق النص والمفسر موجود في التأويل الفلسفي. (أكبري وآخرون، ٢٠١٣: ٣٧-٦١)

في مقال «تحليل المكونات المفاهيمية للاستنطاق القرآني في منهج تفسير الشهيد الصدر»، بعد وصف سبعة أنواع من تفاعل القارئ مع النص، يقدم المؤلف الاستنطاق باعتباره اكتشاف

مواقف النص، في مقابل التفسير والتأويل، والتي تتم بهدف اكتشاف معنى النص(الاستنطاق، والتفسير، والتأويل هي ثلاثة أنواع من التفاعل، تسعى جميعها إلى إعادة بناء عقلية المؤلف).

وهذا الرأي والموقف من القرآن الذي يحصل في الاستنطاق هو من نوع الإلزام الضمني. (وجهة نظر النص وموقفه يمكن أن يكون المعنى اللفظي والخارجي للنص، أو المعنى غير العرفي والباطني للنص، أو المعنى الملزم للنص. وهناك ثلاثة أنواع من المعاني الملزمة: الاقتضاء، التنبيه، المرجعية).

وأخيرا، عبّر المؤلف عن المكونات المفاهيمية للاستنطاق على النحو التالي:

١-السؤال: وهو مبني على عناصر مثل المفاهيم المسبقة/التكيف (مع توقعات القارئ ومشكلاته) = الإجهاد التطبيقي في التأويل الفلسفي/تاريخية الفهم/عدم استنفاد الفهم وبالتالي أسئلة لا حصر لها أمام القرآن.

٢-اتجاهان: مقصد المؤلف هو حوار ثنائي مع القرآن، يقوم على العناصر التالية:

- وعي الكلمة الإلهية.

- حَكَمية القرآن (أي أن نص القرآن يكشف معنى لأسئلة القارئ التي تشكك في مفاهيم المفسر الذهنية).

.الاستمرار والتدرج : وبعد سؤال القارئ وإجابات النص، يصحح القارئ تصوراته المسبقة ويطرح سؤالا جديدا ويسمع إجابة جديدة، وبالتالي فإن عملية الفهم تكون دورية وتدريجية.

وحدة النص والمفسر: يرى الشهيد الصدر أن التجاذب بين المفسر والنص سيستمر حتى تتحقق الوحدة بين التجربة الإنسانية والنص القرآني، أي أنّ الفكر القرآني سوف تظهر أمام الفكر البشري. (قربانخانى، ٢٠٢٢: ٢٨)

يتناول هذا المقال تحليل المؤلف وشرحه لعنصر الاستفهام تحت تأثير التعاليم التأويلية الفلسفية مثل دور التصورات المسبقة في الفهم؛ الجانب العملي للفهم وتاريخية الفهم. وفيما يلي سيتم انتقاد هذا النوع من فهم الاستنطاق في نظرية الشهيد الصدر.

وفي شرح المكون الثاني، أي وجود ازدواجية، فقد أوضح المؤلف الاستنطاق بشكل كامل من خلال تكييفه مع التأويل الفلسفي وتأثير العناصر التأويلية الفلسفية مثل دورية عملية الفهم، ووحدة أفق القارئ والنص. وكون الفهم حدث، على تعبير كاتب هذا المقال وتفسيراته حول الاستنطاق الملموس. أما الشهيد الصدر، بحسب ما سيتم عرضه في الجزء التالي من البحث، فهو ينفي أساس التأويل الفلسفي، أي الجدل. ولذلك، فرغم أن الاستنطاق هو سؤال وجواب المفسر بنص القرآن، إلا أنه يجب أن يكون من نوع خاص من السؤال والجواب ومختلف عن التأويل الفلسفي.

وفي مقال "تحقيق تحديات الاستنطاق وحلول تكميله على أساس القراءات الموضوعية في تفسير القرآن"، جرت محاولة بالمنهج الوصفي التحليلي للتعبير عن نطاق منهج الاستنطاق في تفسير الشهيد الصدر وأضراره وأخيرا تقديم الحلول لاستكمال هذا الأسلوب.

يرى المؤلفون أن في التفسير الموضوعي للشهيد الصدر، يجلس المفسر، من خلال طرح أسئلته المتأثرة كلياً بموقفه التأويلي، في حوار مع القرآن ليحقق فهماً جديداً من اختلاط أُفُقِهِ الدلالي مع القرآن. وبهذه الطريقة يحاول الباحث القرآني أن ينتبه إلى تكوين وولادة مفاهيم جديدة من خلال التحرك المتكرر ذهابًا وإيابًا وإقامة جدلية بين الحقائق الخارجية والنص القرآني. (دولت و رحمتی، ٢٠٢٢: ٥٠).

ورغم أن التحليل المقدم في المقال المذكور قد تمكن من بيان أضرار أسلوب تفسير الشهيد الصدر وحلول إصلاحها، إلا أن رأي مؤلفي هذا المقال لا يزال متأثراً بالتأويل الفلسفي كغيره من الأبحاث. بالإضافة إلى ذلك، لم يتم عرض صورة واضحة للخلاصة في رأي الشهيد الصدر وكيفية أسئلة المفسر وأجوبة القرآن لم يتم تقديمها.

وفقاً لخلفية البحث حول التفسير الموضوعي للشهيد الصدر، أنّ كيفية العنصر الأكثر مركزية فيه، أي "الاستنطاق"، لا يزال غير واضح. ونظراً لبعض التشابه في عنوان طريقة تفسير الشهيد الصدر مع التأويل الفلسفي، فقد اعتاد الباحثون على مقارنة الاستدلال مع التأويل الفلسفي والحواري من أجل إزالة الغموض وتقديم عملية مماثلة متأثرة بالتأويل الفلسفي في تفسير الاستدلال. إن مكونات الخاتمة التي تم الحصول عليها من مجموع نتائج هذه المقالات، رغم اختلاف تفسيراتها، تقع تحت ثلاثة عناوين عامة: أسئلة من القرآن؛ أجوبة القرآن وأسئلة المفسر المتبادلة وأخيرا اتحاد أفق المفسر والقرآن. وكما ذُكِر، فقد وُصفت هذه المكونات بأنها متأثرة بالجو التأويلي الفلسفي، لكن بما أن التأويل الفلسفي متجذّر في التعاليم الجدلية وباعتبار نفي الشهيد الصدر للديالكتيك، فإن هذه المقارنة لا يمكن أن تكون صحيحة تماماً. في الواقع، حتى الآن، وبالنظر إلى بعض أوجه التشابه الظاهرة بين التأويل الفلسفي والاستنطاق في نظرية الشهيد الصدر، حاول الباحثون حل غموض الاستنطاق من خلال تكييفه مع تعاليم التأويل الفلسفي. في حين أن التأويل الفلسفي يعتمد على نظرية هيغل الجدلية وقد نقد الشهيد الصدر هذه النظرية ورفضها. بنابراين استنطاق در نظرية شهيد صدر نمی‌تواند همان ديالكتيک هرمنوتيک فلسفی باشد. ولذلك فإن الاستدلال في نظرية الشهيد الصدر لا يمكن أن يكون جدلية التأويل الفلسفي. وكما ذكرنا، فإن المنهج الإيجابي للباحثين في شرح وعرض مكونات الاستنطاق متأثر بالتأويل الفلسفي، لكن بالنظر إلى نفي أسس هذا المنهج من قِبَلِ الشهيد الصدر، يجب علينا أولاً

استخدام المنهج السلبي لكي تتضح ما لا تشمله طبيعة وعملية الاستدلال، ثم، ومن خلال تحليل أسلوب الشهيد الصدر، نشرح الاستنتاج بشكل إيجابي.

بمعنى آخر، في هذا البحث، ومن أجل الحصول على صورة أوضح عن "الاستنطاق" من وجهة نظر الشهيد الصدر، يتم أولاً توضيح المكونات التي لا يمكن تضمينها في عملية الاستدلال من وجهة نظر الشهيد الصدر، و ثم ما هي الأشياء التي يمكن أن تلعب دورا في تكوين الاستنطاق.

٢.تأثير جدلية هيغل على التأويل الفلسفي

وكما ذكرنا، فإن الفهم الشائع للاستنطاق في نظرية الشهيد الصدر يتأثر بمبادئ التأويل الفلسفي. وقد نشأ هذا التصور بسبب التشابه بين بعض مكونات الاستنطاق والتأويل الفلسفي. لكن النقطة المهمة هي أنه من خلال دراسة أسس التأويل الفلسفي، وخاصة تأثيرها على المنطق الجدلي، يصبح من الواضح أن هذه التشابهات بين التأويل الفلسفي ونظرية الشهيد الصدر التفسيرية ليست عميقة جداً، ولا يمكن للمرء بسهولة أن يساوي بين هاتين النظريتين.

ومن مبادئ التأويل الفلسفي عند غادامر: الطبيعة الجدلية للفهم والمعرفة، وتمازج الآفاق، والأثر الحتمي لفرضيات القارئ في فهم النص. إن غادامر مدين لأفلاطون وهيغل في تأكيده على الطبيعة الجدلية للفهم والمعرفة. (ربانى غلبايغانى، ٢٠٠٢: ٢٥)

لفهم جدلية هيغل، ينبغي للمرء أن ينتبه إلى مفاهيمه الأساسية الثلاثة. إن مفهوم المطلق الذي يسبق المفاهيم الأخرى منطقيا هو مفهوم الوجود. لكن مفهوم أو فئة الوجود النقي غير محدد تمامًا. ومفهوم الوجود غير المحدد تمامًا يفتح الطريق أمام مفهوم العدم. وهذا يعني أننا إذا حاولنا أن نفكر في الوجود دون أي عزم، فسوف نرى أننا لم نفكر في أي شيء. ينتقل العقل من الوجود إلى العدم، ومن العدم إلى الوجود مرة أخرى. ولا يمكن الاعتماد على أي منهم، ويختفي كل واحد منهم في ما يسمى بنقيضه. وفقا لهيغل، الوجود الخالص غير محدد وفارغ. ولهذا نقول إنه يفتح الطريق أمام نقيضه. (كابلستون،٢٠٠٣: ١٩٣)

وفي التأويل الفلسفي وجد غادامر فكرة حدوث الفهم من خلال آفاق مختلفة وحتى متناقضة في نظريات هيغل. وهو يعتقد أن نقطة الديالكتيك بالنسبة لهيغل هي أنه من خلال دفع موقف ما إلى نقطة التناقض الذاتي، فإنه يجعل من الممكن الانتقال إلى حقيقة أعلى توحد جوانب هذا التناقض: قوة الروح تكمن في التوليف، وظيفته التوسط في كل التناقضات. (غادامير، ٢٠١١: ١٤٥)

وقد ذكر هيغل في كتابه "المنطق" أن العلوم كلها، باستثناء الفلسفة، تقوم على افتراضات ذاتية، ولا يمكن أن يكون لها نقطة بداية موضوعية. (واعظى، ٢٠٢١: ١٤٥) ويُظهِرُ أثر هذا الأساس في التأويل الفلسفي دور الافتراضات في الفهم..

إن مقاربة غادامر للحقيقة جدلية وليست منهجية. ومن وجهة نظره، فإن الحقيقة لا يتم الحصول عليها عن طريق الأسلوب، بل عن طريق الجدلية والديالكتيك. ففي الأسلوب يتم قيادة موضوع البحث ومراقبته والتلاعب به، أما في الجدلية فيطرح الموضوع سؤالاً يجيب عليه الباحث. (ربانى غلبايغانى،٢٠٠٢: ٣١).

وبالطبع فإن غادامر متأثر بهايدغر في التأويل الفلسفي. إن الديالكتيك المطلوب في تأويل غادامر يعتمد على بنية الوجود، كما هو موضح في أعمال هايدغر اللاحقة، وعلى البنية المسبقة للفهم، كما هو مقترح في "الوجود والزمان". ومن الواضح أيضًا أن هايدغر يتأثر بجدلية هيغل في آرائه. يقترب هايدغر مرارًا وتكرارًا من مثالية معلق هيغل. إن حقيقة أن فكره قريب جدًا من هيغل ليس بلا شك عرضيًا وبدون سبب. يبدو أن الطبيعة الأساسية للوعي الفلسفي في القرن التاسع عشر هي أنه لم يعد من الممكن تصوره بمعزل عن الوعي التاريخي. (غادامير، ٢٠١١: ١٤٤) إن هذه التعاليم الجدلية حول طبيعة الوعي والفهم وتأثير التاريخ عليها هي أساس المكونات التأويلية الفلسفية مثل تاريخية الفهم.

السؤال من القارئ أو المؤوّل موجه إلى النص، وبمعنى أعمق، يوجه النص أيضًا سؤالًا إلى مؤوّله. (ربانى غلبايغانى، ٢٠٠٢: ٢٩) في هذه الصورة لفهم النص، نرى بوضوح تأثير الديالكتيك الهيغلي ودور التناقضات في ولادة الحقيقة. ويتبع جدلية الأسئلة والأجوبة ومزيج الآفاق. وستكون النتيجة النهائية لهذا المزيج أن يتعرف الإنسان على نفسه، وبهذه الطريقة يصبح هذا اللقاء مرحلة من مراحل التطور الوجودي. وبعبارة أخرى، فإن بنية هذا التطور هي بنية التجربة والسؤال والجواب، أي أنه أمر جدلي.

دليل آخر على تأثير جدلية هيغل على التأويل الفلسفي يمكن العثور عليه في تصريح الشهيد الصدر من هذه النظرية. ويرى أن المنهج الجدلي لفهم الوجود يمكن تلخيصه في جملة واحدة: افتراض الفرضية الأولى ووضعها مبدأ. ثم يتحول هذا المبدأ إلى نقيضه بسبب الصراع في محتواه الداخلي المتناقض. ثم يصل هذان المتضادان إلى الوحدة، وتصبح هذه الوحدة نفسها مبدأ آخر ونقطة انطلاق أخرى. وتتكرر هذه القصة ويستمر هذا التطور ثلاثي المراحل إلى ما لا نهاية ويستمر ما بقي الكونُ وظواهرهُ وأحداثُه. (صدر، ٢٠١٤: ٢٥٢)

وهذا الأسلوب الجدلي هو أساس المكونات التأويلية الفلسفية عند غادامر، مثل محاولة الجمع بين آفاق المفسر والنص، والألعاب اللغوية التي لا نهاية لها. وفيما يلي، يتّضح أن الشهيد الصدر ينتقد هذه الأسس الجدلية.

٣.نقد الشهيد الصدرلجدلية هيغل

يقول الشهيد الصدر في شرح المنهج الجدلي عند هيجل: انطلق هيغل من المفاهيم والمقولات العامة وطبق عليها الجدلية واستنتجها بأسلوب جدلي يقوم على التناقضات المعبر عنها بالأطروحة والنقيض والتركيب. أول وأشهر تأليفة الثلاثية في هذا المجال هي التركيبة التي تبدأ من أبسط تلك المفاهيم وأكثرها شيوعاً، وهو الوجود. والأطروحة أو البرهان هو: «الوجود موجود». هذا في حين أن الوجود نفسه ليس شيئًا؛ لأنه يمكن أن يكون أي شيء. دائرة، مربع، أبيض، أسود، نبات، حجر، هذه كلها متوفرة. ولذلك فإن هذا الوجود ليس شيئاً مؤكداً، وبالتالي فهو غير موجود. وهذا هو النقيض، وبالتالي يحدث تناقض في مفهوم الوجود ذاته. وهذا التناقض يحل في الجمع بين الوجود والعدم، وتكون النتيجة كائناً لم يكتمل وجوده بعد، أي مجرد التحرك والصيرورة. وبهذا يتبين أن الوجود الحقيقي هو "الصيرورة" والحركة. (صدر، ٢٠١٤: ٢٥٣). ثم ينتقد هذا الرأي، ويعتبر أن مشكلة هيغل الرئيسية تكمن في الفهم الخاطئ لمبدأ عدم التناقض.

إن نظرة سريعة على الأطروحة والنقيض والتركيب في مسئلة الوجود، وهي التركيبة الثلاثية الأكثر شهرة لهيغل، تبين لنا بوضوح أنه لم يفهم حقا مفهوم مبدأ عدم التناقض، ثم نبذه واستبدله بمبدأ التناقض. لأن تراكم الأشياء المتناقضة في موضوع واحد يختلف عن إمكانية صحة مفهوم ما حول تلك الأشياء. ولذلك فإن الوجود مفهوم لا يحتوي على أي تناقضات مثل الأبيض والأسود أو النبات والجماد؛ بل الوجود يمكن أن يكون أيًّا من هؤلاء، لا الذي يكون ذاك وهذا في نفس الوقت. (المصدر نفسه) وبعبارة أخرى، فإن مفهوم الوجود ينطبق على جميع الذوات، ولكن هذه الحقيقة المفاهيمية لا تعني أن جميع الذوات، حتى الذوات المتناقضة، يمكن جمعها في ذات واحدة.

٣-١.نقد الحركة الجدلية في الفكر

ولكن بالإضافة إلى نقد أسس الديالكتيك، فقد تناول الشهيد الصدر أيضاً آثار هذه النظرية في مسألة الإدراك والمعرفة. وتجد مناقشاته في دراسة الحركة الجدلية للفكر ونقدها علاقة أوضح مع مناقشات التأويل الفلسفي. وقد لخص الشهيد الصدر أسباب جدلية المطالبين بالفكر في ثلاثة أقسام:

وفقا لقانون الحركة، فإن الطبيعة تتطور وتتغير دائما.

في هذا الدليل، فإن التفكير الصحيح يتغير ويتطور دائمًا، وبالتالي لا مكان للثبات في فهمنا وإدراكنا للحقائق. لأن المعرفة إذا كانت راكدة وراكدة، فإنها لا تستطيع أن تلتقط الطبيعة في العقل البشري. تكون أفكارنا حقيقية عندما تتغير وتتطور بشكل جدلي بحيث يكون إدراكنا للأشياء متزامنًا معها. (صدر، ٢٠١٤: ٢٦٨)

وفي انتقاده لهذا السبب يقول الشهيد الصدر: لا شك أن الفكر والإدراك العقلي هو وسيلة لتصوير الواقع الموضوعي. لكن هذا لا يعني أن حركة الواقع الموضوعي تنعكس فيه، وبناء عليه فإنه ينمو ويتحرك أيضًا؛ لأن:

أولاً: سواء استخدم في فهمه المنطق الإنساني المشترك أو المنطق الجدلي والنقاش، فإن العالم الطبيعي له قوانين ثابتة تعكس حقائق ثابتة في عالم الفكر ونطاق المعرفة الإنسانية.

ثانياً: الفكر العقلي أو الإدراك أو الحقيقة لا تعكس الخصائص الحقيقية للطبيعة. يشير الشهيد الصدر في هذا الجزء إلى أحد التعاليم المهمة للفلسفة الإسلامية في مناقشة طبيعة العلم والأشكال العقلية: وقد قلنا سابقاً في مناقشة نظرية الإدراك أن العقل البشري يدرك مفاهيم وطبائع الأشياء الخارجية، ومفهوم أن الأشياء تنعكس في العقل، فهي تختلف عن الواقع الخارجي في وجودها وخصائصها. (صدر، ٢٠١٤: ٢٧٠) بمعنى آخر، الأشكال العقلية التي تحقق المعرفة للإنسان، رغم أنها تتحدث عن الوجود الخارجي، إلا أنها ليس لها آثار الوجود الخارجي. والحقيقة أن الشهيد الصدر بهذا النقد ينفي أيضاً أحد أسس التأويل الفلسفي، ألا وهو نفي الفهم الثابت للنص والنسبية في الفهم.

إن الفكر والإدراك هما أمران ماديان، ومثل كل الظواهر الطبيعية، فإنهما يتطوران بشكل جدلي. وبطبيعة الحال، هذا السبب يختلف عن السبب السابق. ويقال هنا أن القوانين الديالكتيكية تنطبق في المادة وفي الإدراك؛ ويتضمن الواقع والفكر معًا؛ لأن كلاهما جانب من جوانب الطبيعة. لكن الشهيد الصدر، في نقده لهذه الحجة برفض محورها، أي قبول تفسير مادي بحت للإدراك، يرى أن هذه الحجة متناقضة لأنه إذا كان هذا التفسير المادي للفكر صحيحا، فإنه يشمل أفكار الآخرين الذين لا يؤمنون بالديالكتيك. ولكن هنا يوجد تناقض مدهش، وهو أن دعاة الديالكتيك يتهمون الأفكار الأخرى بالركود ويعتبرون فكرهم هو الفكر الوحيد المتطور. (صدر، ٢٠١٤: ٢٧٣)

التطور العلمي هو دليل تجريبي على الجدلية والوصول التدريجي إلى الحقيقة.

وفي انتقاده لهذه الحجة يقول الشهيد الصدر: التطور العلمي لا يعني أن الحقيقة تنمو وتتطور تدريجياً؛ بل يعني تطور العلم كمجموعة من النظريات والقوانين. ومعنى تطوره هو زيادة الحقائق

وتقليل عدد الأخطاء. (صدر، ٢٠١٤: ٢٨٠) في الواقع، فإن هذا السبب ينفي أحد أسس التأويل الفلسفي، ألا وهو نسبية الحقيقة والتحصيل التدريجي للمعنى.

ملخص نقد الشهيد الصدر للديالكتيك

إن شرح الشهيد الصدر ونقده للتدفق الجدلي في مجال الفكر والمعرفة يُظهِرُ أن هذا التدفق يسعى إلى هدفين أساسيين:

١- إنكار الحقيقة المطلقة؛ لأنه عندما تكون الحقيقة تنمو وتتحرك باستمرار، لا توجد حقائق ثابتة بشكل مطلق، ونتيجة لذلك تنهار الحقائق الميتافيزيقية الثابتة التي يؤمن بها المؤمنون.

٢- نفي الخطأ المطلق في مسار التطور العلمي؛ وفي المعتقد الجدلي، فإن التطور العلمي لا يعني أن النظرية السابقة خاطئة تمامًا؛ بل يعتبرها حقيقة نسبية؛ وهذا يعني أنه في مرحلة معينة من التطور والنمو، كان صحيحا.

لكن في ضوء تفسير الشهيد الصدر للتطور العلمي، تنهار هاتان القاعدتان. وبحسب التفسير الصحيح فإن تطور العلم لا يعني تطور حقيقة معينة؛ بل هو اكتشاف جديد لحقائق لم تكن معروفة من قبل، وهو تصحيح لأخطاء سابقة. وأي خطأ يتم تصحيحه فهو خطأ مطلق، وأي حقيقة يتم اكتشافها هي حقيقة مطلقة. إذن فالحقيقة مطلقة ولا سبيل لها إلى النسبية. (صدر،٢٠١٤: ٢٨١)

٤.الجانب السلبي للاستنطاق (ما هو الذي ليس بالاستنطاق؟)

وبحسب المضمون الذي تم التعبير عنه في النقد الديالكتيكي للشهيد الصدر، تتضح ضرورة توضيح الجانب السلبي في الاستنطاق. ولأنه باعتبار أن التأويل الفلسفي يقوم على الجدلية وهو ما رفضه الشهيد الصدر، فإن عنصر الحوار في طريقة الاستنطاق يختلف عن الحوار في التأويل.

الحوار في التأويل الفلسفي، الذي يشبه عند بعض الباحثين الاستدلال في نظرية الشهيد الصدر، يخضع لمبدأ الذاتية التفسيرية. إن معيار الذاتية أو الموضوعية في التفسير هو قبول استقلال معنى العمل عن عملية قراءته. كل الذين يعتقدون أن هناك ما يسمى معنى مستقلا عن القراءة من قبل المفسرين هم الموضوعيون والواقعيون التفسيريون، على الجانب الآخر؛ الذين يعتقدون أنه قبل قراءة النص، فإن معنى النص، سواء على شكل معنى المؤلف أو على شكل المعنى المخفي في النص، لا وجود له خارجيا، وأن المترجم هو الذي يساعد على الإبداع واستكمال معنى العمل في عملية قراءة النص، هم ذاتيون تفسيريون. (واعظى، ٢٠٢١: ١٤٧) وقد وضحنا في الجزء السابق أن أصل هذا الرأي يكمن في مبادئ الجدلية ونفي الحقيقة المطلقة. ونظراً للانتقادات الصريحة

التي وجهها الشهيد الصدر لمبادئ الديالكتيك ورفضه لهذه النظرية، فإنه لا يمكن تفسير استنتاجه بالمذاهب المتعلقة بالديالكتيك. ولذلك، فإن الاستنطاق ليس له أي علاقة بالتأويل الفلسفي ويختلف عنه بشكل أساسي. ونتيجة هذا الجانب السلبي أن مكونات مثل الحوار المتبادل، ودورية عملية الفهم، ووحدة أفق القارئ والقرآن، وكون الفهم حدث، لا مكان لها في استنطاق القرآن عند الشهيد الصدر.

٥. الجانب الإيجابي للاستنطاق (ما هو الاستنطاق؟)

إن أول أعمال الشهيد الصدر وأوضحها، والتي ذكر فيها أسلوب التفسير الموضوعي والاستنطاق، هو مناقشة «المدرسة القرآنية». بالإضافة إلى هذا العمل، وبالنظر إلى أعمال الشهيد الصدر الأخرى ودراسة جهوده المباشرة أو الضمنية في استخلاص النظرية من المصادر الإسلامية بطريقة استدلالية، يمكن تفسير العناصر التي يتكون منها مفهوم الاستنطاق بطريقة إيجابية. ولمزيد من الدقة والتركيز في بيان مكونات الاستنطاق عند الشهيد الصدر، ندرس مقاله "الحرية في القرآن". اللافت للنظر أن ترتيباً معيناً يؤخذ من شروحات ومؤلفات الشهيد الصدر من بين مكونات الاستنطاق، لكن في العرض النهائي لنتائج الاستنطاق في مقالاته القرآنية، لا يلتزم الشهيد الصدر بالضرورة بهذا الترتيب. وبهذا الشرح تكون مكونات الاستنطاق هي:

١-٥. عرضُ سؤال محدد على القرآن

بداية الاستنطاق هو عرض أسئلة محددة للقرآن الكريم. ولكن لكي نجد ونطرح سؤالاً محدداً للقرآن، علينا أولاً أن ندرس قضايا ومشاكل الحياة الفردية والاجتماعية في المجتمعات المعاصرة. ويمكن اعتبار هذا العنصر بمثابة مقدمة لطرح الأسئلة على القرآن. لأن المفسر يجب أن يكون على دراية بقضايا ومشكلات حياة الإنسان وجهود وإجابات المدارس المختلفة لحل تلك القضايا حتى يتمكن من تقديم مسألة دقيقة ومحددة للقرآن الكريم في المرحلة الأولى للاستنطاق. (صدر، ٢٠٠٠ ألف: ٣٠)

ويعتبر الشهيد الصدر عنصر عرض الأسئلة على القرآن بمثابة تمييز مهم بين التفسير الموضوعي والتفسير المتسلسل. ولتأكيد هذا الأسلوب أشار إلى شيوع هذا الأسلوب في الفقه، .قدّم الفقه كنوع من تفسير الأحاديث، الذي يهدف إلى الإجابة على مشاكل المجتمع من خلال الرجوع إلى مصادر الرواية والقرآن الكريم. (صدر ٢٠٠٠ الف: ٤٠)

ومن خلال دراسة تاريخ الفقه يتبين أنه في عصر النبي والأئمة (عليهم السلام) ساد الجانب الروائي في الفقه، أي الاستظهار من الآيات والأحاديث وتفسير الأحكام المتعلقة بأفعال المكلفين. وبمرور الوقت، أصبحت هذه التصورات متماسكة وفي شكل مجموعات منتظمة حول موضوع ما.

لكن في المرحلة التالية يصبح الفقه فرعا. أي أن الفقهاء طرحوا مسائل جديدة للأحاديث وحاولوا استنتاج أجوبة تلك المسائل من الأحاديث. وتدريجياً وجدت كتب الفقه هيكلاً منتظماً، لكن هذا الترتيب لا يمكن الحصول عليه للوهلة الأولى من خلال دراسة الأحاديث والآيات المتعلقة بالفصول والموضوعات. إن ما أوجد هذا النظام والهيكل الجديد كانت مسائل جديدة استطاع الفقهاء أن يتوصلوا إلى استنتاجات وبنية جديدة بعقلية الإجابة عليها. ويشدد الشهيد الصدر في تعليقه على ضرورة الانطلاق من الواقع الخارجي؛ ويعني التعرف على القضايا الجديدة في حياة الإنسان، ثم الرجوع إلى القرآن الكريم بهذه الأسئلة. (صدر، ٢٠٠٠ ب: ٢٩)

كما عرّف الشهيد الصدر في مقالته "الحرية في القرآن" الحرية في المنظور الغربي وعبّر عن خصائصها في الثقافة المادية للغرب وبحث إشكاليات هذا المنظور. إلا أنه بعد هذه الدراسة لم يعرض الأسئلة مباشرة على القرآن، بل طرح بعض العناوين من القرآن التي يمكن أن تعبر ضمنا عن الأسئلة. على سبيل المثال، عنوان «التحرير الداخلي للإنسانيّة» والحقيقة أن الجواب على سؤال كهذا هو ما هو أساس الحرية؟ (صدر، ٢٠٠٠ألف: ٣٥٩)

٢ -٥.تلقي إجابات القرآن دون أفكار مسبقة

عنصر آخر موجود في الاستنطاق هو فهم إجابة القرآن على الأسئلة المطروحة. يتكون هذا المكون من جمع المعلومات وتحليلها غير المتحيز. ومن أجل مراعاة مبدأ الحياد ومنع تداخل الأفكار المسبقة، لا بد من الانتباه إلى أن في "الاستنطاق" معنى الحوار المتبادل مع القرآن، وهو أن المفسر يثير السؤال والقرآن يجيب، دون أن يدخل المفسر في جدال مع جواب القرآن. الشهيد الصدر، خلافاً لتعاليم الجدلية، يرى أن الحقيقة واحدة وليست نسبية، وعلى المفسر أن يحاول الوصول إلى تلك الحقيقة الواحدة، وهي رأي القرآن هنا، بدلاً من تقديم آراءه الخاصة لإكمال رأي القرآن. وفي الاستنطاق يتم جمع كافة المعلومات المتعلقة بالسؤال المطروح على القرآن. والنقطة المهمة في هذه المرحلة هي الرجوع إلى جميع التعاليم التي تعتبر بشكل أو بآخر تفسيرات وتأويلات للقرآن؛ مثل: الكتب الفقهية، والأحاديث المتعلقة بالمسألة، وجميع المعارف التي تساعد على توضيح نظرية الإسلام في موضوع البحث.

ويؤكد الشهيد الصدر أنه في التفسير الموضوعي ينبغي طرح أسئلة على القرآن تكون محدثة ومناسبة للظروف الاجتماعية، ولكن في مرحلة تلقي جواب القرآن يحاول المفسر أن يتلقى الجواب قدر الإمكان دون أي تصورات مسبقة من جانبه. بالطبع في النصوص البشرية قد تتداخل معرفة المفسر في فهم النص، وقد يتم صقلها مع معلومات القارئ للحصول على إجابة صحيحة لأسئلة النص، لكن هذه المسألة غير ممكنة في حالة القرآن، لأن من خصائص القرآن، التي يؤكد عليها الشهيد الصدر بوعي، هي صدقه التام وخلو العيوب والأخطاء فيه. فيطرح المفسر والقارئ السؤال بثقة في صحة القرآن الكريم ويجمع الجواب ويعدّله دون أي تدخل.

وفي الواقع، في التفسير الموضوعي وطريقة "الاستنطاق"، على عكس التفسير التسلسلي، يكون المترجم نشطا، ولكن تجدر الإشارة إلى أن هذا النشاط يكون في المكون الأول للاستنطاق، أي طرح الأسئلة، وليس في مرحلة تلقي الإجابات . (صدر، ٢٠٠٠ ألف:٣٠). ولذلك فإن المفسر يعرض أسئلة على القرآن بتصوراته المسبقة والمعلومات التي لديه عن احتياجات وقضايا المجتمع اليومي، ولكن في تلقي الإجابات يحاول ألا يتدخل في تصوراته المسبقة وبقدر ما ويجب أن يكون المستمع الصامت أمام رسالة القرآن. وهذه نقطة اختلاف مهمة بين الاستنطاق والعمليات القائمة على التأويل الفلسفي.

قام الشهيد الصدر أولاً بجمع الآيات المتعلقة بالأسئلة الرئيسية في مقالة "الحرية في القرآن" ثم قام بتحليلها في قسم "الحرية في الإسلام". ورغم أنه من الممكن انتقاد شمولية عملية جمع المعلومات من قبل الشهيد الصدر، إلا أنه يمكن ملاحظة العنصر الأساسي في هذا الجزء، وهو التلقي الأولي للأجوبة الفردية للقرآن. (صدر، ٢٠٠٠ألف: ٣٥٥)

٣-٥. التجميع والتركيب

وتتشكل الخاتمة بشكل كامل عندما لا نكتفي بالإجابات الأولية التي تم الحصول عليها أثناء جمع المعلومات، بل نبحث عن مجموعة الإجابات المتعلقة بالسؤال ثم نحصل على الإجابة الكاملة من خلال تجميعها وتركيبها.

ويرى الشهيد الصدر أن أحد العناصر المهمة في طبيعة استنباط وتلقي الأجوبة من النصوص الدينية، والتي لا يلتفت إليها كثير من المفكرين المسلمين، هو الجمع بين تعاليم تبدو منفصلة ومنعزلة من أجل تمهيد الطريق لفهم الجواب وتحقيق النظرية. والحقيقة أن المفسر يخطو خطوة جديدة بعد استخدام الأساليب الموجودة في التفسير التسلسلي وفهم معاني الآيات. أي أنه يحاول اكتشاف نظرية عامة في القرآن مفادها أن جميع الآيات المتفرقة المتعلقة بالموضوع يمكن تحليلها بموجب تلك النظرية. مثل نظرية القرآن في الاقتصاد، أو النبوة، أو تقاليد التاريخ. (صدر،

١٩٨٨: ٣٦) يوفر هذا المكون أيضًا شرحًا إضافيًا لماهية الاستنطاق. الدقة في هذا العنصر عامل لتجنب فرض وجهة نظر الشخصية والتفسير بالرأي، لأنه لا ينبغي للمفسر أن يقول أي شيء عن نفسه أو يتوقف عن إيجاد إجابات تناسب فرضياته، بل بعد عرض السؤال يجمع الإجابات المباشرة أو غير المباشرة وبجمعها يحصل على الجواب والنظرة العامة للقرآن. ويبدو أن هذا هو السبب الذي دفع الشهيد الصدر إلى استخدام الجمع والتركيب بدلاً من التحليل والألفاظ المتشابهة في تفسيراته للتأكيد على بذل أقصى جهد من أجل تفسير غير متحيز لإجابات القرآن.

في مقال "الحرية في القرآن" تدور معظم المناقشات في تجميع وتركيب الإجابات الفردية للقرآن بحيث يتم تركيب الآيات المجمعة في بداية المناقشة ودمجها حسب الجو العام للتعاليم الإسلامية من أجل الإجابة على الأسئلة المفترضة. وقد تم تنظيم هذه الإجابات تحت ثلاثة عناوين: الحرية الداخلية، والحرية الاجتماعية، والحرية العملية.

الرسم البياني لمكونات مفهوم الاستدلال

٦. النتيجة

ومن خلال الأسس الفلسفية للشهيد الصدر وخصائص التأويل في الثقافة الإسلامية، تبين، خلافاً لرؤية بعض الباحثين، أن "الاستنطاق" عند الشهيد الصدر له طبيعة مختلفة مقارنة بتعاليم التأويل الفلسفي. ومن أجل فهم أفضل لهذه الحقيقة، تم أولاً شرح سلبيات الاستنطاق من أجل تحديد الأمور التي لا يمكن أن تشملها رؤية تفسير الشهيد الصدر. وأهم جانب سلبي للاستنطاق هو اختلافه عن الحوار في التأويل الفلسفي. إن الحوار الذي يجري في التأويل الفلسفي بين المفسر والنص يخضع لمبدأ الذاتية التفسيرية ونفي الحقيقة المطلقة. وهذا الأساس مرفوض في نظر الشهيد الصدر. ولذلك فإن الاستنطاق لا يمكن أن يكون كالحوار في التأويل الفلسفي.

وفي الخطوة التالية، تم استخلاص أهم المكونات في "الاستنطاق" من خلال الاطلاع على أعمال الشهيد الصدر. وهذه العناصر التي تظهر في تنفيذ "الاستنطاق" هي: ١- طرح سؤال محدد على القرآن الكريم يعتمد على دراسة موضوعات تتعلق بالحياة الفردية والاجتماعية المعاصرة. ٢- تلقي الجواب من القرآن دون أفكار مسبقة. ٣- تجميع وتركيب المعرفة المنفصلة ظاهريًا لتحقيق نظرية عامة. وفي المكون الثالث، ومن أجل الحصول على الإجابة، يتم أولاً جمع المعلومات، وبعد ذلك، مع مراعاة مبدأ عدم التدخل في المعرفة السابقة، يتم الحصول على الإجابة النهائية من خلال تجميع هذه المعلومات ودمجها. والنقطة المهمة هي أن الاستنطاق، برأي الشهيد الصدر، لن

يتحقق دون عنصر التجميع والتركيب، لأنه بالتوقف في جمع المعلومات لم يتم الحصول بعدُ على إجابة القرآن بشكل دقيق، و في الواقع، لم يتحقق الاستنطاق، وهي عملية ذات اتجاهين.

المصادر

القرآن الكريم

ابن‌فارس، احمد(۱۹۸۳)، **معجم مقاييس اللغة**، قم: مكتب الاعلام الاسلامی.

ابن‌منظور، محمد بن مكرم(۲۰۱۴)، **لسان العرب**، بيروت: دارالفكر.

اکبری، رضا و شیرزاد، محمدحسن (۲۰۱۴)، « بازخوانی نظریه شهید صدر در تفسیر موضوعی قرآن کریم با تکیه بر اندیشه هرمنوتیکی گادامر»، **دوفصلنامه علمی پژوهشی مطالعات قرآن و حدیث (بالفارسية)**، السنة السابعة، رقم ۲، ص ۳۷-۶۱ .

بحرانی، ابن میثم (۱۹۹۹)، **شرح نهج البلاغه**، بیروت: دارالثقلین.

بهمنی، سعید (۲۰۱۸)، **نظریه‌پردازی قرآن بنیان: رهیافت‌های توسعه روش نظریه‌پردازی قرآن‌بنیان سید محمدباقر صدر (بالفارسية)**، قم: پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامي

بهمنی، سعید (۲۰۲۰)، «خوانش انتقادی استنطاق و کاربست آن در نظریة شهید صدر پیرامون سنت های تاریخ در قرآن»، **پژوهش‌های قرآنی (بالفارسية)**، السنة الخامسة والعشرون، رقم ۲، ص۲۹-۴۸.

خویی، حبیب الله، (۱۹۶۵)، **منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه**، ج۹، تهران: مکتبه الاسلامیه.

دولت، محمدعلی و رحمتی، سیدمهدی (۲۰۲۲)، «بررسی چالش‌های استنطاق و راهکارهای تکمیل آن بر اساس خوانش‌های تفسیر موضوعی قرآن»، **تحقیقات علوم قرآن و حدیث (بالفارسية)**، السنة التاسعة عشر، رقم ۳، ص ۴۹-۷۲.

ربانی غلپایغانی، علی(۲۰۰۲)، **هرمنوتیک فلسفی در اندیشه گادامر (بالفارسية)**، تهران: قبسات، رقم الثالث و العشرون، ص۲۴-۳۹.

صدر، سید محمدباقر(۲۰۰۰ألف)، **المدرسة القرآنية . التفسير الموضوعی للقرآن الكريم**، موسوعة الشهيد الصدر، ج۱۹، قم: مركز الابحاث و الدراسات التخصصيه للشهيد الصدر،

صدر، سید محمدباقر(۲۰۰۰ب)، **دروس فی علم الاصول** ، بيروت: مركز الابحاث و الدراسات التخصصيه للشهيد الصدر.صدر، سید محمدباقر(۱۹۸۸)، **السنن التاريخية في القرآن**، دمشق: دار التعارف للمطبوعات .

صدر، سید محمدباقر(۲۰۰۳)، **اقتصادنا**، قم: بوستان‌کتاب.

صدر، سید محمدباقر(۲۰۱۴)، **فلسفتنا**، ترجمه سید ابوالقاسم حسینی، قم: دارالصدر.

صفره، حسين؛ معارف، مجيد؛ پهلوان، منصور، (٢٠١٠)، « استنطاق قرآن»، **پژوهش‌های قرآن و حدیث (بالفارسية)**، السنه الثالثه و الاربعون، رقم١ ص ١٣٩-١٦٤.

طريحي، فخرالدين (١٩٩٦)، **مجمع البحرين**، تهران: مكتبة المرتضوية.

غادامير، هانس جورج(٢٠١١)، **ديالكتيک هگل (بالفارسية)**، ترجمه مهدی فيضی، تهران: رخ داد نو.

فيومي، احمد بن محمد (١٩٩٣)، **مصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، قم : موسسه دارالهجره.

قربانخانی، امید (٢٠٢٢)، «واکاوی مؤلفه‌های مفهومی استنطاق قرآن در روش تفسیری شهید صدر»، **پژوهش های قرآنی (بالفارسية)**، الستة السابعة و العشرون، رقم ١، ص ٢٣-٤٢.

کابلستون،فردریک، (٢٠٠٣)، **تاريخ فلسفه (بالفارسية)**، ج٧، ترجمه: داریوش آشوری، تهران، علمی فرهنگی.

مجلسی، محمدباقر (١٩٨٢)، بحارالأنوار، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مصطفوی، حسن(١٩٩٥)، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، تهران: وزارت ارشاد.

مكارم شيرازی، ناصر، (٢٠١١)، **پيام امام اميرالمؤمنين**، ج ٦، قم: مدرسه الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام).

نباطی عاملی، علی بن محمد (٢٠٠٥)، **الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم**، ج٢، تهران: مكتبة المرتضوية.

واعظی، احمد (٢٠٢١)، **نظریه تفسیر متن (بالفارسية)**، قم، پژوهشگاه حوزه و دانشگاه.